أصابتْ عِثارًا على نُقْطَةٍ فكَرَّتْ على نفسِها ثانيه
فيشْعُر كالشَّوْكِ فِي صدْرِهِ يُوخزُ من قلبِهِ دَامِيَهْ
فيَنْهَضُ فِي قبْضَةٍ مِنْ ذُهُولِ يَجرُّ خُطاهُ بلا واعِيَـــه

* * *

وعادَ غداةَ غَـــدٍ واجِمًا وفى سِرِّهِ الخُطَّةُ التاليَهْ
وسادَ السكونُ على المُلْهِمِينَ كأنَّهُمُ الجُمْرةُ الخَـابيه
فشاعِرُهم قائمٌ بِالوَصِـيدِ يُسَائِلُ عمَّا جَرَى رَاوِيَه
ودارَ بنظْرَتِه فى المَكانِ وألْقَى على صَحْبِه ثانيـــه
ورَوَّى طويلاً وقال: ارْقُدُوهُ! وَأَوْمَأَ لِلتُّرْبَةِ الزاكيه

(البحرين) ابراهيم العريض

شئ نادر:

الوصـــول

للأســـتاذ عزيز أحمد فهمى

كن فى مجتمع وانظر إلى الناس من حولك وتفرس فيهم، فإنك تستطيع بعد شىء من التدرب والتعلم أن تحدد، ولو بالتقريب، شخصيات الكثيرين منهم، فتقول إن هذا الأول شخص جاد مستقيم فى عمله مستقيم فى لهوه، فهو يعمل ليعيش، ويلهو ليعمل، كأنما هو آلة حكم عليها أن تدور دورتين دورة ذات اليمين ودورة ذات الشمال. فإذا تركته ونظرت إلى الثانى قلت إن هذا الثانى شخص حائر لا يعرف لماذا توجد فى هذه الحياة ولا يعرف أى أعباء الحياة يحمل ولا أيها يدع، فهو يرمق كل شئ باهتمام، ولا تعدو رمقته إلى الأشياء هذا الاهتمام، ولا تجوزه إلى الاختبار والمعرفة ثم الاستغلال. فإذا تركته ونظرت إلى الثالث قلت إن هذا الثالث مغالط مختلس فى الدنيا ما كان غيره أحق به منه، وهو يعرف أنه مختلس، ويعرف أن المختلس مهدد بالانفضاح، ولذلك فإنه يعمد إلى تغطية مغالطته الأصلية المجرمة بمغالطات أخرى فرعية هى أيضاً مجرمة. فإذا تركته ونظرت إلى الرابع قلت إن هذا الرابع ضعيف هزيل ولكنه راغب فى الحياة، وفى لون مريح من ألوان الحياة يرضاه، فهو يتوسل إليه بإهدار كل مواهبه وكل قواه لا يعبأ بأن يكون موضع النقد، ولا بأن يكون موضع السخرية، ولا بأن يكون موضع التحقير ما دام يصل إلى الذى يريد من الراحة الرخيصة التى استهوته والتى طمع فيها على غير جدارة منه لها ... فإذا تركته ونظرت إلى الخامس قلت إن هذا الخامس حقود، فإذا تركته ونظرت إلى السادس قلت إن هذا السادس بخيل، فإذا تركته ونظرت إلى السابع قلت إن هذا السابع بحاثة، فإذا تركته ونظرت إلى الثامن قلت إن هـذا الثامن فنان ... وهكذا ...

بل إن من الناس من تستطيع بالنظرة الأولى إليه أن تعرف الحرفة التى يحترفها، فهذا تعرفه معلماً من عنايته بالنظافة والنظام، ومن حركاته الميكانيكية التى اصطنعها لتكون نموذجاً للتلاميذ يتحركون على نمطها، ولتكون فى الوقت نفسه ستاراً بينه وبين التلاميذ فلا يكشفون مع وجودها حركات نفسه الطبيعية التى فطره عليها الله، وأنت تعرفه كذلك من صوته وإشاراته وحديثه الذى يتكلف به التفهيم بحسب أصول البيداجوجيا... وذاك تعرفه محامياً من لباقته ورشاقة ضميره التى تبدو فى اتساع آفاق أحاديثه، تلك الأحاديث التى يحرص المحامى البارع كل الحرص على أن تكون كلاماً لا معنى له حتى إذا اختلف مع موكله بعد الحكم الابتدائى استطاع أن يتفق مع خصم موكله ليترافع عنه لدى محكمة الاستئناف... وذاك تعرفه سمساراً من سهولة دخوله على الناس وسهولة خروجه من الناس، فهو يحدث من يشاء بما يشاء إلى أن يشاء قطع الحديث ليحدث آخر بما يشاء أيضاً حتى يرى أن يصل الاثنين وأن ينسحب هو ليصل غيرهما بالحلال أو الحرام ... وآخر تعرفه عسكرياً من سماحة عقله وسماحة نفسه

فهو لا يطمع من الدنيا فى شىء أكثر من الذى يطمع الإنسان فيه إذا كان فى « استراحة » إحدى المحطات : لقمة سائغة ، وشربة هنية ، بعدها جرس القيام ... ثم الصحافى تعرفه صحافياً بقدرته العجيبة على دس نفسه فيما يعرف وفيما لا يعرف ، وبقدرته الأخرى على الاستخفاف بحكم الناس عليه ؛ فهو يقبل عليهم فى النكبة لا ليشاركهم الأسى ولا ليواسيهم ولا ليخفف عنهم وإنما ليراهم كيف يبكون ، وكيف يذرفون الدمع ، وليته مع ذلك يحاول أن يعرف هذا للبكاء وهـذا الدمع هل هما صادقان أو هما كاذبان وإنما الذى يعنيه هو تسجيل الوقت الذى بدأ فيه البكاء والوقت الذى انتهى فيه ، وتقدير الدمع الذى ذرف كأنما ناس يريدون أن يشربوه أو أن يعوموا فيه ... وهكذا

هذا شىء يحدث ... وأنت تستطيع ـ كغيرك ـ أن تميز الناس بالنظرة الأولى أو بالنظرة الثانية ، فما الذى يحدث للناس حتى يتشكلوا هذا التشكل الذى يحددهم ويحصر شخصياتهم ؟ وهل تحدد الشخصية وانحصارها مما يدل على قوتها ، أو مما يدل على ضعفها ؟

أما الذى يحدث للناس ، فيكون من أثره أن تتشكل شخصياتهم وأن تتحدد وأن تنحصر وأن تتميز ، فهو أن الواحد منهم يقع تحت تأثير عاطفة من العواطف أو حرفة من الحرف ، ويتركها تعمل فى نفسه . والنفس كما نعلم تعمل فى البدن ، ولكل عاطفة لون من العمل تنصبغ به النفس ويتشكل به البدن . ومهما كان من الخير فى العاطفة الواحدة أو فى الحرفة الواحدة ، فإن تغلبها على الإنسان فيه اختلال لتوازنه النفسى وفيه تشويه لشكل بدنه ، فالله لم يخلق إنساناً بعاطفة واحدة طاغية عليه ، كما أنه لم يخلق إنساناً محترفاً حرفة واحدة تؤثر فيه هذا الأثر الشنيع

وإنما الناس الذين خلقهم الله أطفال ، أسفياء ، عواطفهم موجودة لا حصر لها : فالسعيد منهم هو ذلك الذى إذا نما العقل فيه تمكن به من حفظ التوازن بين هذه العواطف الموجودة الكثيرة فلم يسمح لإحداها بأن تغلبه على أمره ... فإذا استطاع هذا ، فهو ينمو ويكبر ولا يزال وجهه كوجوه الأطفال ، ولا تزال شخصيته كشخصيات الأطفال ، فيها هذا الشيوع السمح الذى لا يستطيع الناظر إليه أو المحقق فيه أن يميزه به فيقول : إن هذا الإنسان حقود ، أو إنه غيور ، أو إنه طماع ، أو إنه محام أو إنه معلم ، أو إنه مهندس ، أو إنه شىء ما ... وإنما يقول هذا إنسان ، فإذا أراد أن يعرف أى إنسان هو كان عليه أن يعاشره وأن يختبره ، فعندئذ تتبين له مواهبه واتجاهاته العقلية والنفسية. ولا بد فى هذه الحال أن تتكشف له ميزات عجيبة ، لأن الإنسان الذى يستطيع — وعلى الخصوص فى هذا العصر — أن ينجو بنفسه من الخضوع لإحدى العواطف أو لمجموعة خاصة منها ، وأن ينجو من آثار الحرفة والمهنة ، لهو إنسان قوى النفس استطاع أن يصل أو أن يعود إلى الأصل الطبيعى لنفسه ، وهو الأصل الذى فطره الله عليه ، وهو أصل خصب صاف غنى فيه كل العواطف ، وكل المواهب ، وكل القوى الخلقية ، وإن تفاوتت مقاديرها عند الناس

ومن الفنانين الذين استطاعوا أن يصلوا إلى هذا الصفاء : شارلس لاتون ، فأنت تنظر إلى وجهه فترى وجه طفل لا يستطيع اللحم المتراكم فيه أن يحجب صفاءه ولا نقاءه

ومجيب الريحانى يقترب اليوم من الستين ، ومع هذا فهما تفرست فى وجهه فإنك لا تستطيع — والصلاة على النبى — أن ترى فيه تجعيدة أو خطاً يستر عاطفة حادة أو يشير إلى أن هذا الرجل قد قهره الزمن على أن ينصب فى قالب ما . وذلك فإنه قدير على أن يمثل كل شخصية من الناس ، وعلى أن يعلم الممثلين كيف يمثلون ما اختلف من الشخصيات

والأستاذ أحمد أمين — على ما أنا متحامل عليه — تراه فلا تعرف أهذا الرجل أديب ، أم هو عالم ، أم هو تاجر ، أم هو من ذوى الأملاك ، أم هو ممن يرزقهم الله يوماً بعد يوم ... ولست أدرى أأتاه ذلك لأنه من أولئك الذين تحدثنا عنهم ، أم لأنه مجموعة من الرجال : فمنهم الأديب والعالم والتاجر وذو الأملاك ، والذى يرزقه الله يوماً بعد يوم ، وقد تعادل فيه هؤلاء جميعاً فلم يقو واحد منهم على أن يختص بالظهور فيه

ويشبهه فى ذلك الأستاذ الزيات ... بل إنه يزيد عنه غموضاً فى صوته ، فهو لا يزال إلى اليوم يشبه أصوات الأطفال ...

أما الرجل الجبار فى هذا الوصول فهو الاقتصادى الفنان الكبير طلعت حرب ... فهذا رجل إذا لم تكن تعرفه ورأيته وأقسم لك جمهور من الناس بأنه طلعت حرب لما صدقت ، فهو لا يبدو عليه أنه باشا ، ولا أنه اقتصادى ، ولا أنه صاحب